أَلْمُشَاكَلَةُ
وَأَثَرُها في تَوْجِيهِ الْقِراءَاتِ القُرْآنِيَّةِ

أ.م.د. محمد حسين فؤاديان ابو الفضل بهادري

قسم اللغة العربية وادابها-جامعة طهران

فحوى البحث

المشاكلة هي إحدى ظواهر اللغة العربية التي تعدّ أداة طيعة لإقناع المخاطب بما يواجهه من الموافقة من المتكلم فيستمع إلى كلامه وينقاد لقوله ثم يغتنم المتكلم الفرصة ويلقي خطابه ويبين مراده فالمشاكلة تؤدي دورا مهما في جذب اهتمام المخاطب. ولذلك نرى علماء البلاغة قد اهتموا بها منذ القرون الأولى حيث عرّفوها بأنها ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته وذكروا لها شواهد من الشعر والنثر إلا أنهم حصروها على الاسم والفعل والحال أن كاتبي هذا المقال يعتقدان أنها تقع في كل ما ينطق به الإنسان من الحركات والحروف والأسماء والضمائر والأفعال وأنواع التراكيب والعبارات وإذا كانت كذلك فمن حقها أن تؤثر في العلوم المختلفة من اللغة والصرف والنحو والبلاغة والتفسير والتجويد والقراءة لأنها كلها تتعلق بما ينطق به الإنسان وخالق الإنسان فمن حقها أيضا أن يدرس تأثيرها في هذه العلوم.

لذلك يقوم هذا البحث بدراسة تأثيرها فيها ولاسيما في القراءة لأن للمشاكلة تأثيرا كبيرا في توجيه القراءات كما سنرى.

المقدمـــــة:

تمتـــــاز اللغـــة العربية بخصائص وامكـانـات جعلتها مـن أبلغ اللغات إن لم نقل أبلغها على الإطـلاق من هذه الخصائص ظاهرة المشاكلة التي تعـــد مـن أحسـن أدوات استمالة المخاطب بسبب الموافقة والتأييد اللذين يتلقاهما من المتكلم فهما مما ترتاح إليه النفوس و تهوى إليه الأفئدة ولتأثيرها هذا على البلاغة فقد اعتنى بها علماء البلاغة فقاموا بتعريفها وتقسيمها على أقسام وذكروا شواهد منهـــا في الشعر والنثر والقرآن الكريم وبخاصة مع ذلك فقد حصروها على الاسم والفعل كما يظهر من الأمثلة التي وردت في كتبهم والحال هذه أننا نرى أن المشاكلة أوسع نطاقا مما اعتقده هؤلاء لأنها بمعنى الموافقة وبهذا المعنى يمكنها أن تشمل الحركات والحروف والأسماء والضمائر والأفعـال وأنـواع التراكيب والعبارات فنطاقها في رأينا أوسع مما أشار إليه البلاغيون في حديثهم عن المحسنات المعنوية إذ إنها من وجهة نظرنا قضية ترتبط بذات الإنسان فإن الإنسان بطبيعته يحب أن يظهر بمظهر الجميع ولا يختلف عنهم كي يُقبلوا إليه ويَقبلوه ويستطيع التعامل معهم وهذا نجده أيضا في عالم الحيوانات فإنها أيضا تحاول أن تكون وفقا للبيئة التي تعيش فيها كي لا تطرد منها وتتمكن من استمرار الحياة. فالإنسان يميل قلبيا إلى المشاكلة في تصرفاته وبما أنه يجد فيها منافع كثيرة فيفضّل أن يتصف كلامه أيضا بهذه الصفة كي يؤدي إلى استمالة مخاطبين أكثر. وبناء على هذا فالمشاكلة يمكن أن تقع في كل جزء مما ينطق به الإنسان من مختلف الحركات والكلمات والعبارات ونتيجة لذلك فإنها تؤثر على العلوم المختلفة من اللغة والصرف والنحو والبلاغة والتفسير والتجويد والقراءة لأنها كلها تتعلق بما ينطق به الإنسان فينبغي أن يدرس تأثيرها على هذه العلوم لذلك يقوم هذا البحث بدراسة تأثيرها فيها ولاسيما في القراءة لأنه مع التأثير الكبير والدور المهم الذي تؤديه المشاكلة في العلوم المختلفة ولاسيما في القراءات قلما نجدهم تطرقوا إليها من هذا المنظار فإنهم تكلموا عنها في إطار التحدث عن المحسنات المعنوية بشكل

عام وعلى وجه الإجمال ولم يخصصوا لها بحثا مستقلا مفصلا يظهر فوائدها الجمة مما نحن بصدده في هذا المقال.

و لتحقيق ذلك نقوم في هذه الدراسة أولا بذكر معنى المشاكلة اللغـــــوي والاصطلاحي وأقسامها وماهيتها أي كونها حقيقة أو مجازا لكي نعرفها بشكل عام ثم لكي يتضح الفرق بين وجهة نظرنا ووجهة نظر علماء البلاغة حول المشاكلة، فنسرد مصاديقها التي أوردوها لنتعرف على فكرتهم عنها والنطاق الـذي عينوا لها وحصروها فيه ثم نوضح ما نرمي إليه نحن من المشاكلة فنبين أنها في رأينا تقع في الحركات والحروف والأسماء والضمائر والأفعال وأنواع التراكيب والعبارات لا في الأسماء والأفعال فحسب وذلك من خلال دراسة تأثيرها في العلوم المختلفة ثم نراجع من هذا المنظار القرآن الكريم لنرى تأثير المشاكلة ـ على حسب تعريفنا لها في تعدد وجوه القراءات وتوجيهها فمن الواضح أننا لا نخالفهم في المعنى اللغوي والاصطلاحي اللذين ذكروهما لها بل في المصاديق التي أوردوهـا فإنهم حصروها بالأسماء والأفعال ولكننا نعتقد أنها تقع في كل من الحركات والحروف والأسماء والضمائر والأفعال والتراكيب والعبارات.

المشاكلة لغة واصطلاحا:

إن المشاكلة من باب المفاعلة ومادتها (شكل) والشَّكْل بمعنى الشّبه والمثل. يقال تشاكل الشيئان تشاكلا وشاكل كل واحـد منهما صاحبه مشاكلة أي وافقا موافقة والمُشاكِلُ مِنَ الأُمور مَا وافَقَ فاعلَه ونظيرَه[1].

و أما في اصطلاح علم البديع فهي من المحسنات المعنوية وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته كالجهل في قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا

يقول الشاعر على كل واحد أن يعرفنا ولا ينكرنا ولا يسفه علينا وإلا فنجهلهم ونسفه عليهم فوق سفههم أي نجازيهم بسفههم وجهلهم جزاء لا يساوي جهلهم بل يفوقه بكثير فلا نضمن لهم المسـاواة

(١) لسان العرب: ١١/ ٣٥٧ مادة (ش ك ل).

في الرد عليهم بأن نرد عليهم وفقا لما قاموا به ضدنا فسمى جزاء الجهل والرد عليه جهلا لوقوعه في صحبة الجهل طلبا للمشاكلة أي لازدواج الكلام وموافقته وحسن تجانس الألفاظ.

أما هذه الصحبة فقد تكون تحقيقية وقد تكون تقديرية وهذا يؤدي إلى انقسام المشاكلة إلى قسمين نشرحهما فيما يلي.

أنواع المشاكلة:

سبق أن قلنا إن المشاكلة هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته صحبة تحقيقية/ ذكرية أو صحبة تقديرية/ علمية والآن نفصل ما اختصرنا.

المشاكلة التحقيقية/ الذكرية: هي أن يذكر ذلك الغير لفظا نحو قول أبي الرَقَعْمَع:

أصحابنا قصدوا الصّبوح بِسَحْرة
وأتى رسولهمُ إلىّ خصيصا
قالوا اقترح شيئا نُجِد لك طبخه
قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

أي خيطوا والشاهد في أنه ذكر خياطة الجبة بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة طبخ الطعام صحبة تحقيق لأننا نلاحظ قد ذُكِر لفظ الغير وهو كلمة (طبخه). وهو عبّر عن الخياطة بالطبخ تشبيها له في كونه مما ينبغي أن يكون مرغوبا لهم لأنهم لما قالوا: "نجد لك طبخه" علم أنهم رغبوا في الطبخ له فرغبهم في الخياطة بتصويره بصورة الطبخ[٢]. ونحو: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾[سورة المائدة: ١١٦] حيث أطلق النفس على ذات الله تعالى للمشاكلة[٣] لوقوعها بصحبة ذي النفس أعني ياء المتكلم صحبة تحقيق لأن كلمة (نفس) ذكرت لفظا.

المشاكلة التقديرية/ العلمية: هي أن يحصل العلم بذلك الغير عند ذكر ذلك الشيء دون أن يجري ذكر عن الغير فيصير مقدرا يفهم من السياق والمقدر كالمذكور

(٢) فكما يقول صاحب الأطول: من هذا ظهر أيضا تأثير المشاكلة في المعنى واضمحل ما يوسوس في صدور القاصرين أنه لا يتجاوز تحسين المشاكلة الألفاظ فحقه أن يعد في المحسنات اللفظية. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: ٢/ ٣٨٩.

(٣) وهذا بناء على أن النفس مخصوصة بالحيوان أو بالحادث الحي مطلقا كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[سورة العنكبوت: ٥٧].

فيقع ذلك الشيء في صحبة ذلك الغير.

نحو قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٣٦ -١٣٨] الشاهد في الآية المباركة أنه عبر عن الإيمان بالله بـ (صبغة) للمشاكلة لوقوعه في صحبة صبغة النصارى وهي أي (صبغة) مصدر مؤكد لـ (آمنا بالله) فـ (صبغة الله) مفعول مطلق[٤] حينئذ لـ(آمنا) لتضمنه باللزوم معناه أو مفعول مطلق لفعل من لفظه أي صَبَغَنا الله صبغة ولا ينافي ذلك كونه مؤكدا لـ(آمنا) من حيث المعنى.

أما قول التفتازاني: «أي تطهير الله» فهو تفسير لـ (صِبْغَةَ اللَّهِ) لأن الإيمان يطهر النفوس من رذيلة الكفر فيكون (آمنّا) مشتملا من حيث المعنى على تطهير الله لنفوس المؤمنين ودالا عليه من باب اشتمال الملزوم على اللازم ودلالته عليه فيكون (صِبْغَةَ اللَّهِ) بمعنى تطهير الله مؤكدا لمضمون قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ والحاصل أنه لما كان الإيمان المدلول لـ(آمنا) متضمنا أي مستلزما للتطهير عن رذيلة الكفر كان صبغةُ الدالُ على التطهير مؤكدا لـ(آمنا) لدلالته على لازمه البين ومؤكد اللازم مؤكدٌ للملزوم.

و بيان كيفية وقوع تطهير الله -الذي هو معنى صبغة الله -في صحبة الغمس الذي يعبر عنه بالصبغ تقديرا هو أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر اللون بسبب شيء يجعلونه في ذلك الماء كالزعفران ويظنون أنه أي الغمس في ذلك الماء تطهير لهم من غير دينهم فإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك الغمس قال الآن صار الولد نصرانيا حقا لأنه تطهر عن سائر الأديان ولما كان الغمس في الماء الأصفر الذي من شأنه أن يغير لون الولد ناسب أن يسمى ذلك الغمس بهيئة من الصبغ لكونه بماء مخصوص يصبغ لغرض

(٤) الأطول -مصدر سابق.

مخصوص[٥]

فتحصل من جميع ما ذكرنا أعلاه أن النصارى لما اقتضى فعلهم صبغا ونزلت الآية للرد عليهم عبر عن المراد أي عن الإيمان باللّه والتطهير عن رذيلة الكفر بالصبغة للمشاكلة لوقوعه في صحبة ما يعبر عنه بالصبغ تقديرا بهذه القرينة الحالية التي هي سبب النزول مِن غَمْسِ النصارى أولادَهم في الماء الأصفر الذي من شأنه أن يصبغ الأولاد بالصفرة وإن لم يذكر ذلك الصبغ لفظا[٦].

(٥) فأُمِرَ المسلمون بأن يقولوا للنصارى: "قولوا بدل ذلك الغمس آمنا باللّه وصبغنا اللّه بالإيمان صبغة مخصوصة لا مثل صبغتنا بذلك الماء وطهرنا اللّه بالإيمان تطهيرا مخصوصا لا مثل تطهيرنا بذلك الماء" فإذا قلتم ذلك واعتقدتموه فقد أصبتم وإلا فأنتم في ضلال. هذا إذا كان الخطاب في (قولوا آمنا باللّه) للنصارى وأما إذا كان الخطاب في (قولوا آمنا باللّه) للمسلمين فالمعنى أن المسلمين أُمِرُوا بأن يقولوا صبغنا اللّه بالإيمان صبغة ولم يصبغ صبغتكم أيها النصارى بالماء الأصفر الذي تعتقدون أن الصبغ به والغمس فيه تطهير لكم.

(٦) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: ٢/ ٣٩١.

المشاكلة بين الحقيقة والمجاز:

الظاهر من كلام الجمهور أن المشاكلة بقسميها مجاز لغوي لأنها كلمة مستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة لأن الوقوع في صحبة الغير من قبيل علاقة المجاورة فإنهم وإن لم يصرحوا هناك على أن الوقوع في صحبة الغير من أقسام العلاقات لكنهم صرحوا على ما يرجع اليه وهو المجاورة[٧].

لكننا نرى أنها كما قال بعضهم قسم ثالث لا حقيقة ولا مجاز أما كونها غير حقيقة فظاهر لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له وأما كونها غير مجاز فلعدم العلاقة المعتبرة لأن الوقوع في صحبة الغير لا يعد علاقة ولا يرجع إلى المجاورة المعتبرة علاقة لأنها المجاورة بين مدلول اللفظ المتجوز بـه وبين مدلول اللفظ المتجوز عنه أي تقارنهما في الخيال والمشاكلة ليست كذلك لأن المشاكلة هي أن يعدل عن اللفظ الدال على المعنى المراد إلى لفظ غيره من دون أن يكون هناك مجاورة بين مدلولي اللفظين وتقارن بينهما في الخيال

(٧) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني: ٤/ ٣٧.

فليس فيها إلا مجرد ذكر المصاحب بلفظ غيره لمصاحبتهما في الذكر ولو كان هذا القدر من المجاورة يكفي في التجوز لصح التجوز في نحو قولنا: (جاء زيد وعمرو) بأن يقال: (جاء زيد وزيد) مرادا بزيد الثاني عمرو لوقوعه في صحبته وهو لا يصح قطعا بشهادة الذوق السليم والفهم المستقيم[٨]. أما ما سوى المجاز الذي علاقته المجاورة كالظرف مع المظروف والملازمة كالجزء مع الكل فواضح لا يحتاج إلى توضيح.

شواهد المشاكلة:

المشاكلة تقع في الشعر والنثر وإن علماء البلاغة ذكروا لها مصاديق عديدة منهما أما الشعر فكما مثلنا في حديثنا عن المعنى الاصطلاحي لها وأنواعها وأما النثر فمنه ما أورده المبرد قائلا: عندما تقول: «فعلتُ بفلان مثل ما فعل بي» تعني اقتصصتُ منه والأول بدأ ظالما والمكافئ إنما أخذ حقه فالفعلان متساويان والمخرجان متباينان إذ كان الأول ظالما والثاني إنما أخذ حقه[٩] وأيضا ورد أن رجلا قال لوهب: أليس قد ورد أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة فقال وهب: بلى ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بالأسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك. فقد عبر عن (لا إله إلا الله) بالمفتاح وعبر عن الشرائع والأعمال المعتبرة في الإسلام بالأسنان طلبا للمشاكلة لأن الأسنان تناسب المفتاح[١٠]. وكذلك وقعت المشاكلة في القرآن الكريم في آيات متعددة منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٤ -١٥] أي إذا خلوا إلى الكافرين في خلوة عن أصحاب النبي ﷺ قالوا إنا معكم بقلوبنا من حيث الثبات على الكفر وعداوة المسلمين إنما نحن نستهزئ بالمسلمين في إظهار الإيمان والحال أن الله يستهزئ بهم أي يجازيهم

(٨) المدرس الأفضل فيما يرمز ويشار إليه في المطول: ٧/ ٣١.

(٩) ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن الكريم: ١٣.

(١٠) شرح جواهر البلاغه: ٢/ ٢٧١.

بالطرد من رحمته في مقابلة استهزائهم بالمسلمين وديـن الإسـلام ففي الكلام مشاكلة وإلا فالاستهزاء مستحيل على الله تعالى ومنها قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سـورة الجمعة: ٥] أى: صفة اليهود الذين حمّلوا التوراة أي تحملوا التوراة وكلّفوا العمل بها ثم لم يحملوها أى لم يعملوا بجميع ما فيها كمثل الحمار أى كحال الحمار وصفته فعبر عن عدم العمل بعدم الحمل للمشاكلة وقوله عز وجل: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [سورة المنافقون: ١] قـولـه: ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ أى: يعلم ذلـك وعبر عن العلم بالشهادة مشاكلة[11] وإليك شواهـد أخرى من المشاكلة في القرآن الكريـم: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [سورة الشورى: ٤٠] و ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٥٤] و ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ [سورة النساء: ١٤٢] حيث سمي جزاء السيئة والمكر والخداع سيئة ومكرا وخداعا طلبا للمشاكلة.

الدراسات السابقة:

إن هذا النوع من المحسنات المعنوية قديم يرجع تاريخ العناية به إلى العلماء القدامى كالفرّاء فإنه قد ذكر هذا النوع وشرحه مع أنه لم يجعل له اسما قائلا في شرح قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة: ١٩٣]: إن قال قائل: هل أباح الله العدوان؟. قلنا: ليس بعدوان في المعنى إنّما هو لفظ على مثل ما سبق قبله ألا ترى أنه قال: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [سورة البقرة: ١٩٤] فالعدوان من المشركين في اللفظ ظلم في المعنى والعدوان الذي أباحه الله إنّما هو قصاص فلا يكون القصاص ظلما وإن كان لفظه واحدا[12]. وقد عبر المبرّد عن هذا النوع

(١١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني: ١/ ٣٢٦.

(١٢) معاني القرآن للفراء ١/ ١١٦.

بالمزج قائلا في قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ١٩٤]: "أي اقْتَصُّوا منه. يُمزَج اللفظ كلفظ ما قبله كقول العرب: (الجزاء بالجزاء) والأول ليس بجزاء"(١٣). والظاهر أن أوّل من أطلق عليه اسم «المشاكلة» هو أبو علي الفارسي(١٤).

أُجريتْ أبحاث عدة مستقلة وغير مستقلة حول المشاكلة قديما وحديثا فقد تكلم البلاغيون عنها في الكتب التي ألفوها في البلاغة في قسم البديع ومما ألفه المتقدمون كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي وكتاب «تلخيص المفتاح» للخطيب القزويني و"مختصر المعاني" للتفتازاني فقد شرحوا المشاكلة على وجه الإجمال وذلك خلال حديثهم عن المحسنات المعنوية ومما دوّنه المتأخرون كتاب «البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم» للدكتور عبد الفتاح لاشين حيث عالج فيه المشاكلة ضمن أنواع المحسنات المعنوية ووضح قيمتها البلاغية وشرح ستة من شواهدها في القرآن الكريم وكذلك مقالة عنوانها (بلاغة المشاكلة في القرآن الكريم) لباسم محمد إبراهيم حيث ذكر نماذج من المشاكلة في آي الذكر الحكيم والحديث الشريف والشعر والنثر قبل الإسلام وبعده بشكل عام ودرس المشاكلة في القرآن الكريم بشكل خاص معالجا أربعة عشر موضعا منها في الآيات الشريفة بمزيد من التحليل والموضوعية دراسة بلاغية ـ فنية. فكل من هؤلاء تطرق إلى شواهد المشاكلة وحصرها بالاسم والفعل أما ما نحن بصدده في هذه الدراسة فيختلف عما سبق في أننا نعتقد أنها تقع في كل ما ينطق به الإنسان من الحركات والحروف والأسماء والضمائر والأفعال وأنواع التراكيب والعبارات وأننا ندرس انطلاقا من اعتقادنا هذا مدى تأثير المشاكلة في العلوم المختلفة بشكل عام وفي توجيه القراءات بشكل خاص.

(١٣) ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن الكريم: ١٣.

(١٤) قد قام بشرح هذا النوع علماء آخرون منهم الرماني وابن رشيق والتبريزي والسكاكي وابن مالك والقزويني وشراح التلخيص. للمزيد راجع كتاب "معجم المصطلحات البلاغية وتطورها" ص ٦٢١.

أسئلة الدراسة:

١. ما هو تأثير المشاكلة في اللغة والنحو والبلاغة والصرف والتفسير والتجويد؟.

٢. ما هو مدى تأثير المشاكلة في علم القراءة وفي توجيه القراءات؟.

تأثير المشاكلة في العلوم المختلفة:

بعد أن وضحنا ما نقصده من المشاكلة وأشرنا إلى تأثيرها في العلوم التي ترتبط بالإنسان واللسان الآن حان الوقت كي نبين هذا التأثير على العلوم واحدا واحدا ويجدر أن نبدأ باللغة حيث أننا نعتقد أن المشاكلة -بالمعنى العام الذي أشرنا إليه- سميت فيها الإتباع فهذا أبو علي القالي يقول: هناك نوع من الإتباع معنى الثاني فيه غير معنى الأول فمن الإتباع قولهم: فَدْم لَدْم، فالفدم: العيي البليد واللدم: الملدوم وهو الملطوم حيث أُبْدِلَت الطاء دالا لتشاكل كل الكلام[١٥] ويقولون: خَبيث نَبيث فالنبيث يمكن أن يكون الّذي ينبث شره أي يظهره أو يكون الّذي ينبث أمور الناس أي يستخرجها وهو مأخوذ من قولهم: نبثت البئر أنبثها إذا أخرجت نبيثتها وهو ترابها وكان قياسه أن يقول: خَبيث نابث، فقيل: نبيث لمجاورته لخبيث[١٦].

أما النحو فإن للمشاكلة فيه تأثيرا ملحوظا نكتفي بذكر مثال واحد هنا ثم نبسط الكلام عنه بعض البسط في تأثيرها على البلاغة والمثال هو هذه الآية: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: ٢٦ -٢٧] حيث حسن عطف المستقبل على الماضي بسبب أنه مشاكله فان الأول تذكير بنعمه والثاني وعد بنعمه. والجدير بالذكر أن صاحب كتاب الجدول في إعراب القرآن يخالف هذا الرأي قائلا في شرح الآية رقم ٢٧ من سورة التوبة: ترد (ثمّ) في الكتاب الكريم ولا يراد منها العطف لاستحالة المعنى وذلك كما جاء في الآية ١٩ من

(١٥) الإتباع: ٨٣.

(١٦) الإتباع: ٧٣.

سورة العنكبوت: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ﴾ فإنّ (ثـمّ) فيهـــــا للاستئناف لا للعطف وذلك لاستحالة رؤيتهم إعـادة الخلق لأنها لم تقع وفي هذه الآية التي نحن بصددها فإن عطف التوبة –وهو فعل للمستقبل –على إنـزال الجنود وتعذيب الكافرين –وهو فعل ماض تمّ وقوعه –إنّ هذا العطف لا ينسجم مع المعنى[١٧] ولكننا نرد عليه كما رد عليه صاحب كتاب إعراب القرآن الكريم وبيانه بأن الجملة الثانية كما قلنا مشاكلة للأولى في المعنى فعطفت عليها مقترنة بالتراخي[١٨] ووجود الفاصل بين زمان وقوع مضمون الجملتين لا يمنع من عطفهما بعضهما على بعض لأن التراخي أي الفاصل جزء من ذات كلمة (ثم).

و لكي يتبين تأثير المشاكلة على البلاغة من الأفضل أن نمعن النظر في الآيتين رقم ١٠ و١١ من سورة إبراهيم: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ إن مخاطبي عبارة (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا) وهم الرسل لم يكونوا جاهلين بكونهم بشرا ولا منكرين لذلك لكنهم نُـزِّلُـوا منزلة المنكرين لاعتقاد القائلين وهم الكفار أن الرسول لا يكون بشرا مع إصرار المخاطبين على دعوى الرسالة فنزّلهم القائلون منزلة المنكرين للبشرية لما اعتقدوا اعتقادا فاسدا من التنافي بين الرسالة والبشرية فقالوا: (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا) أى أنتم مقصورون على البشرية ليس لكم وصف الرسالة التى تدّعونها فإن قلت لماذا ـ حينما ادّعى القائلون التنافي بين البشرية والرسالة وقصروا المخاطبين على البشرية ـ اعترف المخاطبون بكونهم مقصورين على البشرية بأن قالوا: (إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) وكأنهم بهذا القول

(١٧) الجدول فى اعراب القرآن: ١٠/ ٣١٦.
(١٨) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤/ ٧٨.

سلموا انتفاء الرسالة عن أنفسهم قلت: إنما هذه الإجابة أعني عبارة (إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) من باب مجاراة الخصم[١٩] وإرخاء العنان إليه بتسليم بعض مقدماته لأنه إذا سلّم له بعض مقدماته كان ذلك وسيلة لإصغائه لما يلقي[٢٠] وإنما يفعل ذلك أي يجارى الخصم حيث يراد تبكيته أى إسكاته وإلزامه فهذا لا يعني تسليم انتفاء الرسالة فكأنهم قالوا: (إن ما ادّعيتم من كوننا بشرا فحق لا ننكره ولكن هذا لا يتنافى أن يمنّ الله تعالى علينا بالرسالة) فلهذا أثبتوا البشرية لأنفسهم. فإن قلت: إنه كان يكفى فى المجاراة أن يقولوا: (نحن بشر مثلكم) فالنفى والاستثناء لغو إذ ليس المراد إلا مجرد إثبات البشرية قلت: إن إثباتها بطريق القصر هو لأن يكون كلامهم على وفق كلام الخصم فى الصورة فيكون فى الكلام مشاكلة وهذا أقوى في المجاراة وعلى هذا يكون الحصر غير مراد بل هو صورى فقط[٢١]. وهذا يثبت أن للمشاكلة أثرا كبيرا في إقناع المخاطب بما يواجهه من الموافقة من المتكلم فيستمع إلى كلامه وينقاد لقوله ثم يغتنم المتكلم الفرصة ويبين الحقيقة له فالمشاكلة أداة طيعة لاستمالة المخاطب.

و مما يؤكد تاثير المشاكلة على البلاغة هو أنه كما قال صاحب (دلائل الإعجاز) إذا أردنا وصل جملة بأخرى كما يجب أن يكون المحدّث عنه في إحدى الجملتين بسبب من المحدّث عنه في الأخرى كذلك ينبغي أن يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشّبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الأوّل. فلو قلت: (زيد طويل القامة وعمرو شاعر) كان خلفا لأنه لا مشاكلة ولا تعلّق بين طول القامة وبين الشّعر، وإنما الواجب أن يقال: (زيد كاتب وعمرو شاعر)، و(زيد طويل القامة وعمرو قصير)[٢٢].

و أيضا كما نعرف إن مواضع الوصل ثلاثة منها اتفاق الجملتين معنى فقط كقوله

(١٩) أي مماشاته والجرى معه فى الطريق من غير مخالفة فى السلوك ومثاله أن تريد إزلاق صاحبك فتماشيه فى الطريق المستقيم حتى إذا وصلت إلى مزلقة أزلقته.

(٢٠) أما إذا عورض من أول وهلة ربما كان ذلك سببا لنفرته وعدم إصغائه وعناده.

(٢١) حاشية الدسوقي: ٢/ ٢٨٥.

(٢٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني: ١٥٠.

تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ فعطف (قولوا) على (لا تعبدون). إن الجملتين وإن اختلفتا لفظا حيث إن الأولى خبر لفظا والثانية إنشاء لفظا لكنهما متفقتان معنى لأن (لا تعبدون) في معنى الإنشاء أي لا تعبدوا وقوله: (وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً) لا بد له من فعل يعمل فيه فإما أن يقدر خبر لفظا يكون في معنى الطلب للمبالغة أي: (و تحسنون) بمعنى (و أحسنوا) وهو عطف على (لا تَعْبُدُونَ) وحينئذ كلتاهما تصبح إنشائية معنى فقط أو يقدر من أول الأمر صريح الطلب وهو (أحسنوا) وحينئذ تكون الجملة الأولى خبرية لفظا وإنشائية معنى والثانية إنشائية لفظا ومعنى.

و الملاحظ أن ما أدى إلى أن نعتبر جملة (و بالوالدين إحسانا) خبرية لفظا أو إنشائية لفظا هو المشاكلة أي موافقة هذه الجملة لما قبلها وهو (لا تعبدون) أو لما بعدها وهو (قولوا) فالمشاكلة لها تأثيرها في باب الفصل والوصل وهو من أهم أبواب البلاغة. ولا يخفى أن ما ذكر يدل على تأثير المشاكلة في النحو أيضا.

أما الصرف فللمشاكلة فيه أيضا تأثير كبير نجتزئ هنا بإشارة عابرة إليه بذكر قضية من قضايا الصرف قد أثرت المشاكلة فيها تأثيرا مباشرا حيث أصبحت تعد سببا لإحدى القواعد الصرفية ولكي نوضح هذا التأثير دعنا نستشهد بآية من آي الذكر الحكيم وهي: ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الانفال: ٤٢].

قرأ نافع وأبو بكر والبزي (حيي) بياءين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة خفيفة في الوصل ووجهه أنه لما امتنع الإدغام في (يحيى) وهو مضارعه أجري ماضيه على الإظهار طلب المشاكلة فشبهوا حركة الماضي بحركة المعرب لتصرفه ألا ترى أن حركة اللام من الكلمة تزول عند اتصاله بالضمير في قولك: (حَيِيْتُ

وحَـيـيْنَ) كما تـزول حركة النصب عن المعرب وهو المضارع بحدوث الرفع في نحو قوله تعالى: ﴿أَن يُحْيِۦَ﴾ و(يُحْيِي) فأجري الماضي مجرى المستقبل ولم يدغم كما أظهر المضارع ولم يدغم[٢٣].

قال مكي بن أبي طالب "حجة من قرأ بالياءين أنه أتى بالفعل على أصله واستثقل الإدغام والتشديد في الياء وأيضا فإنه شبهها بياء (يحيي) التي لا يحسن فيها الإدغام في حال نصب ولا رفع وإنما أشبهتها لأنها قد تتغير بالسكون إذا اتصل بها المضمر المرفوع كما تتغير (يحيي) في النصب ولا تدغم فيها لأن تغيرها عارض"[٢٤].

قرأ الباقون (حي) بياء واحدة مشددة ووجهه أنه لما لزمت الفتحةُ الياء الثانية أشبهت الحروف الصحاح فأدغمت الأولى فيها طلبا للخفة كما فعلوا بقولهم شد ورد ونحوهما مما اجتمع فيه المثلان من الحروف الصحاح[٢٥] بالإجماع منهم على ذلك ومما يدل على أن الياء إذا انفتحت جرت مجرى الحروف الصحاح أن مَن حذف الياء من جوار وغواش في الخفض والرفع لم يحذفها من قوله ﴿ٱلتَّرَاقِۦَ﴾ [سورة القيامة: ٢٦] ونحوه في الوقف فأما قوله ﴿أَن يُحْيِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فلا يجوز فيه الإدغام لأن حركة الياء الثانية غير لازمة ألا ترى أنها تزول في الرفع وتذهب في الجزم فلم يُعتَدَّ بها لذلك. فكما لاحظنا طلب المشاكلة هو مصدر هذه القاعدة الصرفية أي الإدغام وفك الإدغام.

بعد ما لاحظنا من أثر المشاكلة في اللغة والنحو والبلاغة والصرف لا نتعجب من تأثيرها في التفسير فهو حصيلة هذه العلوم والآن ولتبيين هذه القضية نكتفي بذكر مثل واحد يتبين منه هذا التأثير حيث قال العلامة الطباطبائي وهو من كبار المفسرين في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [سورة القيامة: ١] "إقسام بيوم القيامة سواء قيل بكون (لا أُقْسِمُ)

(٢٣) الموضح في وجوه القراءات: ٥٨٠ واللآلي الفريدة في شرح القصيدة: ٢/ ٨٤١.

(٢٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٥٥٦.

(٢٥) الموضح في وجوه القراءات: ٥٨٠ والحجة في علل القراءات السبع: ٣/ ٩٥.

كلمة قسم أو بكون لا زائدة أو نافية على اختلاف الأقوال .قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [سورة القيامة: ٢] إقسام ثان على ما يقتضيه السياق ومشاكلة اللفظ فلا يعبأ بما قيل: (إنه نفي الإقسام وليس بقسم والمراد أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة)"[٢٦]. كما لاحظنا إن المشاكلة تسببت في تغيير المعنى المفهوم من الآية فلولا مراعاة المشاكلة لحصل معنى آخر لها يختلف عن المعنى الأول فإنها تسهم في تبيين معنى الآيات إسهاما ملحوظا ويؤدي دورا هاما في التفسير.

نرى تأثير المشاكلة أيضا في التجويد فأحد أسباب الإمالة التي تعتبر من مباحث التجويد هي المشاكلة ولكي يتضح تأثيرها على الإمالة يجب أن نبين معنى الأخيرة وأسبابها.

الإمالة هي أن تكسى الفتحة كسرة فتخرج بين بين ولها أسباب وهي أربعة: أن يكون حرف الفتحة ياء نحو: سيال أو جارا للياء على نحو: شيبان أو للكسر على نحو: عماد أو لألف هي منقلبة إما عن ياء نحو: ناب ورمى وإما عن مكسور نحو: خاف أو هي تقلب ياء نحو: دعا وملهى لقولك دعي وملهيان في المجهول والتثنية .وقد تكون الإمالة للمشاكلة نحو: (ضحاها) من أجل مشاكلة (تلاها) وأخواتها[٢٧].

و الجدير بالذكر أن المشاكلة أثرت في تعداد آيات القرآن الكريم فلم يعدّ أحد (المر) في بداية سورة الرعد وهي ﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴾ [سورة الرعد: ١-٢] آية ولكنهم عدّوا (طه)[٢٨] و(حم)[٢٩] آية والسبب في رأيهم هو أن (طه) مشاكلة

(٢٦) الميزان فى تفسير القرآن: ٢٠/ ١٠٣.

(٢٧) مفتاح العلوم: ١٠١.

(٢٨) ﴿ طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴾ طه.

(٢٩) ﴿ حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ غافر.

لـرؤوس الآي التي بعدها بالألف مع أنه لا يشبه الاسم المفرد كما أشبه (صاد) و (قـاف) و(نـون) لأنها بمنزلة (بـاب) و(نـوح) وعـدّوا (كـهـيـعـص)[٣٠] لأنه يشاكل رؤوس الآي بعده بالإرداف[٣١].

تأثير المشاكلة في علم القراءة:

كما مر سابقا إن للمشاكلة تأثيرا كبيرا في توجيه القراءات ففي هذا القسم من المقال ولكي نوضح هذا التأثير اخترنا الشواهد التالية من آيات القرآن الكريم أثرت المشاكلة في تعدد القراءات الواردة لها وكيفية توجيهها وطريقتنا أننا نذكر الموضع أولا ثم نورد القراءات المختلفة عن العبارة القرآنية الشريفة ثم نسرد أقوال علماء القراءة في توجيه هذه القراءات وبعد ذلك نشير إلى كيفية تأثير المشاكلة على آراء العلماء في توجيه الوجوه المختلفة ونتفهم جراء ذلك سبب كثرة عنايتهم بها حتى أنهم اعتبروها علة من علل ترجيح القراءات.

١. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة آل عمران: ٢١].

كلهم قـرؤوا (يقتلون الذين) بغير ألف مع فتح الياء وضم التاء سوى حمزة قرأ (يقاتلون الذين) بالألف وضم الياء وكسر التاء من المقاتلة[٣٢].

قال أبو علي: حجة من قرأ (يقاتلون) قراءة ابن مسعود (و قاتَلُوا الذين يأمرون) وحجة من قرأ (و يقتلون الذين يأمرون) أنه معطوف على قوله (و يقتلون النبيين) وقـد جـاء في آيـة أخـرى ﴿ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ ﴾[سورة البقرة: ٩١] فجاء الفعـل على (يَفعُل) دون (يُفَاعِلُ) فكذلك (و يقتلون الذين يأمرون بالقسط) لأن الآمرين بالقسط من الناس قد وافقوا الأنبياء في الأمر بالقسط والنهي عن الجور وكبر عليهم مقامهم وموضعهم فقتلوهم

(٣٠) ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ مريم.

(٣١) التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٢١١.

(٣٢) الموضح في وجوه القراءات: ٣٦٥.

كما قتلوا الأنبياء[٣٣].

فعلة حسن هذه القراءة كما يظهر من قول أبي علي هي مشاكلة هذا الفعل ما قبله وهو (و يقتلون النبيين). هذا إضافة إلى ما قبل هذا الفعل وهو (إن الذين يكفرون بآيات الله) فهذا أيضا على وزان (يَفْعُلُ) وهذا سبب آخر لحسن هذه القراءة. هكذا ظهر تأثير المشاكلة في توجيه القراءة الأولى فاستُحسِنَ وزنُ (يَفْعُلُ) لما يوجد من المشابهة بينه وبين ما قبل هذا الفعل من الأفعال وهي (يقتلون) و(يكفرون). ومما يؤكد أهمية المشاكلة في توجيه القراءة هو أن أباعلي احتج بآية أخرى في نفس المعنى وهي: ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾[سورة البقرة: ٩١] وعدها كعلة لهذه القراءة لأنهما في موضوع واحد فمن الأفضل أن يكونا من وزان واحد.

٢. ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [سورة آل عمران: ٣٦].

قرأ عاصم وابن عامر (بما وضعتُ) بضم التاء أي بما وضعته أنا على أنه حكاية ما قالته امرأة عمران على أنها لما قالت: (رب إني وضعتها أنثى) كأنها أخبرت الله بأمر هو أعلم به منها فتداركت ذلك بقولها (و الله أعلم بما وضعتُ) بمعنى: ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر.

قرأ الباقون (بما وضعت) بسكون التاء أي بما وضعته هي أي وضعته امرأة عمران على أنه من قول الله تعالى.

قال العلماء في الوجه الأول حمل الكلام على ما قبله وهو قولها: (رب إني وضعتها أنثى) وقولها: (و ليس الذكر كالأنثى) وما بعده وهو قولها: (و إني سميتها مريم) وقولها: (و إني أعيذها بك) لأن الجميع من كلام أم مريم فيشاكل ماقبله وما بعده ويكون معهما كلاما واحدا وذلك حسن في المطابقة والمجانسة مع صحة معناه. وإنما لم تقل: (أنت أعلم بما وضعت) على ما يقتضيه نظم الكلام لما قصدته من التفخيم بوضع الظاهر موضع المضمر ونظيره قول إبراهيم عليه السلام: (و ما يخفى على الله من شيء

(٣٣) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٢٦٢.

في الأرض ولا في السماء) بعد قوله (ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن)[٣٤].

لاحظنا أن موافقة (بما وضعتُ) بضم التاء للعبارات التي قبلها وبعدها في ضمير المتكلم هي سبب استحسانها عند العلماء فهكذا ظهرت أهمية المشاكلة في توجيه القراءات.

٣. ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [سورة آل‌عمران: ٣٧].

عاصم وحمزة والكسائي وخلف (كفلها) بتشديد الفاء على أن الفاعل هو الله تعالى والهاء لمريم مفعوله الثاني و(زكريا) مفعوله الأول أي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها والفعل لله تعالى بمعنى: وضمنها إليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها.

و قرأ الباقون بالتخفيف من الكفالة على إسناد الفعل إلى زكريا والهاء مفعوله[٣٥].

قال مكي بن أبي طالب: حجة من شدد أنه أضاف الفعل إلى الله جل وعز في قوله: (فتقبلها ربها وأنبتها) فأخبر عن نفسه تعالى بما فعل بها كذلك يجري (كفّلها) على ذلك يخبر عن نفسه بأنه كفّلها زكريا أي ألزمه كفالتها[٣٦]. قال الحريري تؤيدها قراءة أبي (و أكفلها) من قوله ﴿ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا ﴾[سورة ص: ٢٣][٣٧].

قال أبوعلي حجة من خفَّف (كفلها) قوله تعالى ﴿ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ ﴾[سورة آل عمران: ٤٤] لمشاكلته له في اللفظ والمعنى[٣٨] وقال أبو زرعة حجتهم قوله (إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم) ولم يقل (يكفِّل) فالكفالة مسندة إليهم

(٣٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٤٠٣ والـلآلي الفريدة في شرح القصيدة: ٢/ ٦٤٧.

(٣٥) لطائف الإشارات لفنون القراءات: ١٧٢٣.

(٣٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٣٤٢.

(٣٧) الشفاء في علل القراءات: ٥٧.

(٣٨) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٢٦٩.

وكذلك في هذا الموضع[٣٩].

إذا أمعنا النظر في قول العلماء في الوجهين لاحظنا أن المشاكلة لها تأثير مباشر في توجيه الوجهين وترجيح أحدهما على الآخر حيث احتجوا بكون الفعلين (فتقبلها ربها وأنبتها) مسندين إلى الله تعالى على كون الفعل (كفّلها) مسندا اليه أيضا وكذلك بالنسبة إلى الوجه الثاني فإنهم احتجوا بكون الفعل في عبارة ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [سورة آل عمران: ٤٤] مخففا ومسندا إلى غير الله على كون (كفلها) مخففا مسندا إلى زكريا وهذا ما قصدناه من المشاكلة لأنهم بسبب المشابهة الموجودة بين العبارتين حكموا بما حكموا.

٤. ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (ليبيننه) (و لا يكتمونه) بياء الغائب فيهما فعلا للذين أوتوا الكتاب باق على الحكاية عنهم[٤٠].

قرأ الباقون (لتبيننه) و(و لا تكتمونه) بتاء المخاطبة على تقدير أنهم خوطبوا بذلك عند أخذ الميثاق تقديره: (و قلنا لهم) وهذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [سورة البقرة: ٨٣][٤١].

قال أبو زرعة في الوجه الأول حجتهم قوله (نبذوه) ولم يقل (فبنذتموه) فالكلام أتى عقيبه بلفظ الخبر وهو قوله (فنبذوه) فجعل ما قبله بلفظه ليأتلف الكلام على نظام واحد[٤٢]. وقال مكي بن أبي طالب حملوه على لفظ الغيبة لأن المخبر عنه غائب وردوه في الغيبة على ما تقدم من ذكر الغيبة القريبة منه في قوله: (الذين أوتوا الكتاب) وعلى ما أتى بعده من لفظ الغيبة في قوله: (فنبذوه وراء

(٣٩) حجة القراءات: ١٦١.

(٤٠) شرح طيبة النشر في القراءات العشر: ٢/ ٢٥٧ وفتح الوصيد في شرح القصيد: ٨١٣.

(٤١) لطائف الإشارات لفنون القراءات: ١٧٨٠ والكشاف: ١/ ٤٥٠.

(٤٢) حجة القراءات: ١٨٦.

ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) فجاء كله بلفظ الغيبة فحمل ما قبله عليه لينتظم الكلام على سنن واحد ويأتلف على طريقة واحدة في الغيبة[٤٣].

ورأي صاحب كتاب الموضح في وجوه القراءات يشبه تماما ما قاله الإثنان في توجيه هذا الوجه[٤٤].

أما الوجه الثاني فقال أبو علي حجتهم قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾[سورة آل عمران: ٨١] والاتفاق عليه وكذلك: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [سورة البقرة: ٨٣][٤٥].

بعد التأمل في آرائهم حول الوجهين نخلص إلى أن المشاكلة لها دور رئيس في توجيه القراءتين. فاعتبر كل منهم صيغ الغائب الموجودة في الآية علة للقراءة الأولى فذهبوا إلى أن الفعلين وهما (ليبيننه) (و لا يكتمونه) إذا كانا بصيغة الغائب يناسبان ما أحاطهما من الأفعال فالمناسبة أي المشاكلة هي ما دفعهم إلى استحسان هذا الوجه. أما بالنسبة إلى الوجه الثاني وهي تاء الخطاب فكذلك احتجوا بآيتين من آيات القرآن الكريم وهما ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾[سورة آل عمران: ٨١] و ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[سورة البقرة: ٨٣] ويرون بما أن موضوع الآية التي نحن بصددها وهو أخذ الميثاق يناسب موضوع هاتين الآيتين فمن الأفضل أن يناسبهما في اللفظ أيضا بأن نقرأ الفعلين (لتبيننه) (و لا تكتمونه) بتاء الخطاب كما أن الذين أُخِذَ ميثاقُهم في الآيتين خوطبوا في الفعلين (... لما آتيتكم) و (... لا تعبدون...) بتاء الخطاب وهذا هو المشاكلة.

٥. ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [سورة النساء: ١٢٤].

قرأ أبوبكر وأبوعمرو وابن كثير (يدخلون الجنة) بضم الياء وفتح الخاء

(٤٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٤٣٤.

(٤٤) الموضح في وجوه القراءات: ٣٩٧.

(٤٥) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٣٣٢.

والباقون (يدخلون) بفتح الياء وضم الخاء[٤٦].

قال صاحب اللآلي الفريدة: وجه القراءة الأولى بناء الفعل للمفعول والوجه في القراءة الأخرى بناء الفعل للفاعل يشهد للأولى قوله: ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٣] و﴿ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّتٍ ﴾[سورة المجادلة: ٢٢] وللثانية ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾[سورة الأعراف: ٤٩] و﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾[سورة الحجر: ٤٦][٤٧].

قال مكي: حجة القراءة الأولى قوله: ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٣] و ﴿ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّتٍ ﴾[سورة المجادلة: ٢٢] وهو كثير وحجة القراءة الثانية ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [سورة الأعراف: ٤٩] و ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾[سورة الحجر: ٤٦] وهو كثير أيض[٤٨].

والسبب الذي ذكره أبوعلي وأبوزرعة يشبه تماما ما ذكره الإثنان[٤٩]. وقال أبو زرعة للوجه الأول حجة أخرى إضافة إلى ما ذكره العلماء أشار إليه اليزيدي قائلا: ذلك إذا كان بعدها ما يؤكدها مثل ﴿ وَلَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [سورة النساء: ١٢٤] و﴿ يُرۡزَقُونَ ﴾[سورة غافر: ٤٠] و﴿ يُحَلَّوۡنَ ﴾ [سور الكهف: ٣١] لأن الأخرى توكيد الأولى فإذا كان لم يكن معها ذلك فالياء مفتوحة مثل قوله في الرعد: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ [سورة الرعد: ٢٣] وفي النحل: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ [سورة النحل: ٣١][٥٠].

كما يظهر من أقوال العلماء في الوجهين فإن المشاكلة تؤخذ بعين الاعتبار في توجيههما حيث استدلوا بكون فعلين في السياق نفسه وهما ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٣] و ﴿ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّتٍ ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢] من باب الإفعال على كون

(٤٦) الموضح في وجوه القراءات: ٤٢٧.
(٤٧) اللآلي الفريدة في شرح القصيدة: ٢/ ٧١٩.
(٤٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٤٦٠.
(٤٩) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٣٨١ وحجة القراءات: ٢١٢.
(٥٠) حجة القراءات: ٢١٢.

الفعل الذي نحن بصدده من باب الإفعال ومن جانب آخر استدلوا بكون فعلين في نفس السياق وهما ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [سورة الأعراف: ٤٩] و ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [سورة الحجر: ٤٦] من الثلاثي المجرد على كون هذا الفعل من الثلاثي المجرد فحينما وجدوا بين هذه الأفعال والفعل المقصود موافقة في المعنى استحسنوا الموافقة بينهما في اللفظ وهذا هو المشاكلة وكذلك ما أضافه أبوزرعة نقلا عن اليزيدي كسبب آخر هو أيضا يدل على دور المشاكلة فإنه احتج بكون هذه الأفعال أي: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾ [سورة النساء: ١٥٣] و ﴿يُرۡزَقُونَ﴾ [سورة غافر: ٤٠] و﴿يُحَلَّوۡنَ﴾ [سورة الكهف: ٣١] كلها مبنيةً للمجهول على كون الفعل الذي قبلها مبنيا للمجهول أيضا وهذا هو المشاكلة بعينها.

٦. ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٢].

قرأ ابن عامر (تعملون) بالتاء وقرأ الباقون (يعملون) بالياء.

قال مكي في وجه القراءة الأولى: حمل على الخطاب الذي بعده وهو قوله: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٣] وما بعده ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾ [سورة الأنعام: ١٣٣] وقال في وجه القراءة الثانية: حمل على الغيبة التي قبله وهو قوله: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٢] وقوله قبل ذلك: ﴿أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٣١][٥١].

قال صاحب إتحاف: الخطاب مراعاة لقوله: ﴿يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٣] والغيبة لقوله: (لكل درجات) [سورة الأنعام: ١٣٢][٥٢].

إن الميزان في توجيه القراءتين كما يظهر من قول العلماء في الوجهين هو مراعاة المشاكلة فوجه القراءة الأولى هو مشاكلة ما بعد فإنها تناسب ضمير الخطاب في (يذهبكم) و(أنشأكم) ووجه القراءة

(٥١) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٥١٥.

(٥٢) إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر: ٢/ ٣١.

الثانية هو مشاكلة ما قبل لأنها تناسب الغيبة في (لكل درجات مما عملوا) وقوله قبل ذلك (أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون).

٧. ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[سورة الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

قرأ أبو عمرو (أن يقولوا) (أو يقولوا) بالياء ومعناه على وجهين أحدهما: وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا على أن انتصاب أن بقوله: (و أشهدهم) وقيل كراهةَ أن يقولوا وينبغي أن يكون (شهدنا) خبرا عن الذرية في هذا الوجه والآخر شهدنا على إقرارهم لئلا يقولوا أو كراهةَ أن يقولوا.

الباقون (أن تقولوا) (أو تقولوا) بالتاء على معنى شهدنا لئلا تقولوا على انتصاب أن بقوله: (شهدنا) ويكون (شهدنا) خبرا عن الله تعالى وقيل عن الملائكة لأنه لما قال لهم ألست بربكم قالوا بلى قال للملائكة اشهدوا على مقالتهم فقالوا لهم شهدنا على إقراركم بالربوبية لله لئلا تقولوا وقيل كراهة أن تقولوا فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة[٥٣].

قال صاحب الموضح في الوجه الأول إنه على الغيبة لأن ما قبله أيضا على الغيبة وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ فجعلُه على الغيبة حَسَن لموافقة ما تقدم والوجه للخطاب أن فيما تقدم خطابا وهو قوله (ألست بربكم) فحمل هذا على الخطاب أيضا لموافقته[٥٤]. وهذا ما ذكره أبوعلي الفارسي وصاحب اللآلي الفريدة وصاحب إتحاف بالضبط في توجيه القراءتين[٥٥].

(٥٣) إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر: ٢/ ٦٩.
(٥٤) الموضح في وجوه القراءات: ٥٦٥.
(٥٥) الحجة في علل القراءات السبع: ٣/ ٧٣ واللآلي الفريدة في شرح القصيدة: ٢/ ٨٣١ وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر: ٢/ ٦٩.

قال مكي: من قرأ (أن يقولوا) (أو يقولوا) بالياء ردهما على لفظ الغيبة المتكرر قبله وهو قوله: (و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم) وقوله (قالوا بلى)(٥٦) وبعده أيضا لفظ غيبة في قوله ﴿ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٣] وقوله ﴿ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٤] فحمله على ما قبله وما بعده من لفظ الغيبة. ومن قرأ بالتاء فرده على لفظ الخطاب المتقدم في قوله (ألست بربكم)(٥٧).

قال أبو زرعة: تصديق القراءة بالياء قوله بعده: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٤] فذهب إلى أن الكلام أجري على لفظ ما تقدمه من الخبر عن الذرية لأن الكلام ابتداؤه بالخبر عنهم فما كان في سياقه فهو جار على لفظه ومعناه فكل هذا خبر عنهم(٥٨).

من الواضح جدا أن المشاكلة أثرت في توجيه القراءتين تأثيرا مباشرا فإنهم ذكروا ضمائر الغيبة والخطاب كعلل تقوي الوجهين لمجرد كونها ضمائر للغيبة أو للخطاب وهذا يدل على أن المشاكلة والمناسبة تؤدي دورا هاما في توجيه القراءتين.

٨. ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴾ [سورة الأنفال: ١١].

قرأ ابن كثير وأبوعمرو (يَغْشاكم) بفتح الياء والشين وبالألف و(النعاس) بالرفع من الغَشْي وهو السَتْر أي يلابسكم النعاس بمخالطته لكم بإذن الله على أن الفعل للنعاس.

و قرأ نافع (يُغْشِيكم) بضم الياء وسكون الغين وكسر الشين مع التخفيف من الإغشاء و(النعاس) بالنصب ومعناه يغشيكم الله عز وجل النعاس أي

(٥٦) قال أبوعلي: يؤكد ذلك ما جاء بعد من الإخبار عن الغيبة وهو قوله (قالوا بلى). الحجة في علل القراءات السبع: ٣/ ٧٣.

(٥٧) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٥٤٨.

(٥٨) حجة القراءات: ٣٠٢.

يلبسكموه على أن الفعل مسند إلى الله عز وجل لتقدم ذكره في الآية التي قبل هذه الآية.

قرأ ابن عامر ويعقوب والكوفيون (يُغَشِّيكم) بضم الياء وفتح الغين وكسر الشين مع التشديد من التغشية و(النعاس) بالنصب على أن الضمير في (يغشي) لله عز وجل.

قال صاحب اللآلي الفريدة الوجه في قرأة من قرأ (يغشاكم النعاس) أنه أسند الفعل إلى النعاس كما أسند إليه في قوله تعالى في آل عمران: ﴿ نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤][٥٩] وقال مكي أيضا دليل من قرأ بألف ورفع النعاس قوله: ﴿ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ ﴾[سورة آل عمران: ١٥٤] كما قال ويقوي القراءة الثالثة أن بعده (و ينزل عليكم) فأضاف الفعل إلى الله جل ذكره ليتشاكل الكلام[٦٠].

قال الحريري و صاحب الموضح علة من خص (يغشيكم) بالتشديد أنه أسند الفعل إلى الله تعالى لتقدم ذكره في قوله: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة الأنفال: ١٠] ولطلب المشاكلة بينه وبين قوله: (و ينزِّل عليكم) بعده بجنبه وهو في قراءته بالتشديد[٦١].

قال أبوعلي حجة من قرأ (يُغْشِيكم) أو (يُغَشِّيكم) أنه قد جاء بهما التنزيل قال: ﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة يس: ٩] وقال ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ [سورة النجم: ٥٤] وقال ﴿ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا ﴾ [سورة يونس: ٢٧] وأنه أشبه بما بعده ألا ترى أن بعده (و ينزل عليكم من السماء) فكما أن (ينزل) مسند إلى الله سبحانه كذلك (يُغْشِيكم) أو (يُغَشِّيكم)[٦٢].

قال أبوزرعة حجة من قرأ (يُغَشِّيكم) أن الفعل أتى عقيب ذلك مسندا إلى الله تعالى وهو قوله (و ينزل عليكم من السماء

(٥٩) اللآلي الفريدة في شرح القصيدة: ٢/ ٨٣٨.

(٦٠) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٥٥٤.

(٦١) الشفاء في علل القراءات: ٢٠٨ والموضح في وجوه القراءات: ٥٧٥.

(٦٢) الحجة في علل القراءات السبع: ٣/ ٨٦.

ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان) فكان الأولى بما قبله أن يكون خبرا عن الله أنه هو الفاعل له لينتظم الكلام على سياق واحد(٦٣).

بالنظر في أقوال العلماء في الوجوه الثلاثة نستنتج أنهم لتعيين الوجه الصواب استدلوا بما يشبه هذه العبارة في القرآن الكريم فاستدلوا بعبارة: ﴿ نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤] على الوجه الأول وذكروها كعلة لحسنه وكذلك احتجوا بعبارة: ﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة يس: ٩] و ﴿ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا ﴾ [سورة يونس: ٢٧] على الوجه الثاني واعتبروهما علة لحسنه واحتجوا بعبارة: ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾[سورة النجم: ٥٤] و (و ينزل عليكم من السماء) على الوجه الثالث علة لحسنه وهذا ما قصدناه من المشاكلة والحال هذه أن بعضهم سمى هذه الظاهرة مشاكلة وبعضهم لم يذكر هذه المفردة ولكنه رمز إليها.

٩. ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[سورة الأنفال: ٣٩].

قرأ يعقوب (تعملون) بالتاء والباقون (يعملون) بالياء.

قال صاحب الموضح وجه القراءة الأولى أنه قد تقدم الكلام على معنى الخطاب وذلك أنه تعالى قال: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[سورة الانفال: ٣٨] فالكل مقول فكأنه قال: قل لهم إن الله بما تعملون بصير(٦٤).

و وجه القراءة الثانية أن ما قبله على الغيبة وهو قوله: (فإن انتهوا) وكذلك قوله (و قاتلوهم) وما بعده أيضا للغيبة وهو: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ [سورة الأنفال: ٤٠](٦٥).

فكما نلاحظ لا يخفى أثر المشاكلة في توجيه القراءتين فوجه الخطاب هو مشاكلة الآية السابقة وهي ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ

(٦٣) حجة القراءات: ٣٠٨.

(٦٤) الموضح في وجوه القراءات: ٥٧٩.

(٦٥) الموضح في وجوه القراءات: ٥٧٩.

سَلَفَ ﴾ [سورة الانفال: ٣٨] لما يفهم منها من الخطاب ووجه الغيبة هو مشاكلة (فإن انتهوا) و(قاتلوهم) من نفس الآية و(إن تولوا) من الآية التالية.

١٠. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سورة الأنفال: ٦٥ -٦٦].

قرأ أهل الكوفة (إن يكن منكم مائة... إن يكن منكم ألف...) بالياء فيهما وافقهم أهل البصرة في الأولى. من قرأ (إن يكن) بالياء فلأن المراد به المذكر بدلالة قوله (يغلبوا) ومن قرأ بالتاء فلان لفظ (مِائَةٌ) لفظ التأنيث. ومن قرأ الأول بالتاء والثاني بالياء فلأن القراءة بالتاء في الأولى أشد مشاكلة لقوله (مِائَةٌ صابِرَةٌ) وليس كذلك في الأخرى لأنه أخبر عنهم بقوله (يغلبوا)[٦٦]. كما لاحظنا فإن المشاكلة لها دورها في توجيه الوجهين حيث أن الفعل أُنِّثَ طلبا لموافقة عبارة (مِائَةٌ صابِرَةٌ) مع أن فاعلي الفعل هم رجال.

١١. ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [سورة التوبة: ٦٣].

قرأ جَبَلَة (ألم تعلموا) بالتاء والباقون (ألم يعلموا) بالياء.

قال الحريري البخاري: مما يدل على الخطاب قوله: ﴿ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٢] لمشاكلته له بأنه في خطاب المؤمنين والوجه للقراءة الثانية طلب المشاكلة لما قبله وهو (يحلفون بالله) و(ليرضوكم) و(يرضوه) و(كانوا) من الآية رقم ٦٢ [٦٧] وما بعده وهو (يحذر المنافقون) و (عليهم) و(تنبئهم)

(٦٦) التبيان في تفسير القرآن: ٥/ ١٥٤.

(٦٧) ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة التوبة: ٦٢].

و(قلوبهم)[٦٨] من الآية رقم [٦٩]٦٤.

إذا ما دققنا النظر في كيفية توجيه القراءتين علمنا أن سبب تعيين كل من الوجهين هو المناسبة بين الضمائر فاستنادا إلى ضمير الخطاب الموجود في الآية السابقة استحسن الوجه الأول وبالاستناد إلى ضمائر الغيبة الموجودة في الآية السابقة و التالية استحسن الوجه الثاني والمناسبة هذه هي ما قصدناه من المشاكلة.

١٢. ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[سورة يونس: ١٠٠].

قرأ عاصم وحده (و نجعل) بالنون والباقون (و يجعل) بالياء[٧٠].

إن العلماء قالوا في وجه القراءة الأولى إنه الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه بذلك لأن قبله إخبارا من الله عز وجل عن نفسه في قوله: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ ﴾ [سورة يونس: ٩٨] و ﴿ وَمَتَّعْنَاهُمْ ﴾ [سورة يونس: ٩٨] وكذلك بعده هذه العبارة: ﴿ نُنَجِّ رُسُلَنَا ﴾ [سورة يونس: ١٠٣] حيث أخبر الله فيها عن نفسه بنون العظمة[٧١] [٧٢] و كذلك يستدلون بآيات منها: ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾[سورة البقرة: ٥٩] و ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾[سورة الإسراء: ٤٦] وفي رأيهم من قرأ بالياء وهو القراءة الثانية رده على لفظ الغيبة التي قبله في قوله: (إلا بإذن الله) فذلك أقرب إليه من غيره وكذلك يستدلون بهذه الآية: ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥] عليه حيث ذكر فيه فعل (يجعل) بلفظ الغيبة[٧٣].

ما نقلناه عن العلماء في الوجهين فيه الكفاية لتبيين أثر المشاكلة في توجيه

(٦٨) ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾[سورة التوبة: ٦٤].

(٦٩) الشفاء في علل القراءات: ٢٣١.

(٧٠) الموضح في وجوه القراءات: ٦٣٨.

(٧١) إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر: ٢/ ١٢٠.

(٧٢) الحجة في القراءات: ١٨٥.

(٧٣) النشر في القراءات العشر: ٢/ ٢٧٧ والكشف عن وجوه القراءات السبع: ٥٨٧ واللآلي الفريدة في شرح القصيدة: ٢/ ٨٧٧.

القراءتين فإنهم إما استدلوا بالعبارات القريبة من هذه الآية وإما بالعبارات البعيدة واستفادوا من مشابهتها جميعا للعبارة التي نحن بصددها ليبينوا سبب القراءتين. والجدير بالذكر أنهم للحصول على المواضع المشابهة لم يكتفوا بالآية نفسها بل بحثوا عنها في الآيات التي تفصل بينها وبين الآية المعنية آيتان وهذا يدل على كثرة اهتمامهم بالمشاكلة لتعيين وجوه القراءات وتوجيهها.

١٣. ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة يوسف: ٧٦].

قرأ سهل ويعقوب (يرفع درجات من يشاء) بالياء فيهما والباقون بالنون فيهما.

قال الحريري البخاري علة حسن الياء مشاكلته ما قبله من قوله: (إلا أن يشاء الله) وعلة حسن النون مشاكلة الفعل ما قبله من قوله: (كذلك كدنا)[٧٤]. ففي الآية علامتان كل واحد منهما تدل على وجه يختلف عما يدل عليه الآخر فعبارة (إلا أن يشاء الله) باشتمالها على ضمير الغيبة تدل على الوجه الأول وعبارة (كذلك كدنا) باشتمالها على ضمير المتكلم تدل على الوجه الثاني. هكذا نرى أن المشاكلة لها تأثير مباشر في استحسان الوجهين فإن عالم القراءة في محاولته لتوجيه القراءات يبحث عن أي شيء يعينه على ذلك ولا نعلم سبيلا إلى ذلك أسهل من العثور على عبارات ترتبط موضوعيا بالآية و العبارة القرآنية فمثل هذه العبارات تسهل الطريق للوصول إلى الوجه الصحيح أو الوجوه الصحيحة إن صح التعبير.

١٤. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة يوسف: ١٠٩].

(نوحي إليهم) بالنون وكسر الحاء حفص والباقون باليـاء وضمها وفتح الحاء.

(٧٤) الشفاء في علل القراءات: ٣٠٢.

قال العلماء في وجه القراءة الأولى إنه أتى بنون العظمة وأسند الفعل إلى الله عز وجل وناسب بينه وبين قوله: (و ما أرسلنا) في بداية الآية[٧٥] فجرى الفعلان على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه بذلك كما قال: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ﴾ [سورة النساء: ١٦٣][٧٦]. ومن قرأ بالياء وفتح الحاء رده على لفظ (رجال)[٧٧] ووجهها قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٖ﴾[سورة هود: ٣٦] وقوله: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [سورة الجن: ١][٧٨].

هكذا أثرت المشاكلة في توجيه القراءتين فكل من العلماء احتج بما يشابه القراءتين كي يوضح سببها فمنهم من استفاد من العبارات الموجودة في الآية مما يشابهها فذكر عبارة (و ما أرسلنا) لإسناد الفعل فيه إلى الله تعالى وكلمة (رجال) لدلالته على الغيبة ومنهم من توسل إلى آيات أخرى من القرآن الكريم مما يشابهها فذكر قوله: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ﴾[سورة النساء: ١٦٣] لما فيه من إسناد فعل (أوحى) إلى ضمير المتكلم للجمع (نا) وقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٖ﴾ [سورة هود: ٣٦] وقوله: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [سورة الجن: ١] لكون فعل (أوحى) فيهما مبنيا للمفعول ذكروها كعلة لحسن القراءتين للمشابهة الموجودة بينها وبين القراءتين وهذا هو ما قصدناه من المشاكلة.

١٥. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [سورة يوسف: ١١٠].

قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب (فنجي) بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم وفتح الياء على لفظ الماضي المبني للمفعول. وقرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو وحمزة والكسائي (فننجي) بنونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة وتخفيف الجيم

(٧٥) اللآلي الفريدة في شرح القصيدة: ٢/ ٩١١.
(٧٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٦١٩ والموضح في وجوه القراءات: ٦٩٠.
(٧٧) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٦١٩ والموضح في وجوه القراءات: ٦٩٠.
(٧٨) الحجة في علل القراءات السبع: ٣/ ٣١٤ وحجة القراءات: ٣٦٥.

وتسكين الياء.

قال أبوزرعة في الوجه الأول: إنما بني الفعل للمفعول به لأن ما بعده كذلك وهو قوله (و لا يرد بأسنا)[٧٩] ولو كان مسندا إلى الفاعل لكان (لا نَرُدُّ) مثلَ المعطوف عليه[٨٠]. وقال مكي بن أبي طالب في هذا الوجه أنه أتى بالفعل ماضيا مناسبا لما قبله من الأفعال الماضية وهي (اسْتَيْأَسَ... وظَنُّوا... قَدْ كُذِبُوا... جاءَهُمْ)[٨١]. أما الوجه في قراءة من قرأ (فننجي) بالتخفيف أن جعل الفعل حكاية عن حال تكون فيما بعد ألا ترى أن القصة فيما مضى؟!. وإنما حكى فعل الحال على ما كانت عليه وجعله من أنجى وبناه على الإخبار من الله عز وجل عن نفسه بنون العظمة وناسب بينه وبين قوله: (جاءهم نصرنا) وبين قوله بعده (من نشاء) و(بأسنا)[٨٢] فالنون الأولى نون الاستقبال والثانية نون الأصل لأنها فاء الفعل وهي محذوفة من الخط لأنها لما سكنت خفيت عند الجيم كما تُخفَى عند سائر حروف الفم ولا يجوز فيها البيان فأشبهت من هذه الجهة الحرف المدغم فحذفت من الخط كما يحذف المدغم مع كراهتهم اجتماع المثلين في الخط ككراهتهم في اللفظ ألا تراهم كتبوا تمنَّون وتَظاهرون ونحوهما بتاء واحدة لذلك وكتبوا الدنيا والعليا ونحوهما بالألف لكراهتهم اجتماع الياءين في الخط[٨٣].

بالنظر في العلل التي ذكرها العلماء في الوجهين نفهم أن المشاكلة هي الميزان في توجيه القراءتين حيث إنهم استدلوا في الوجه الأول بكون المعطوف أي (لا يرد) مجهولا على كون المعطوف عليه وهو (نجي) مجهولا و بكون الأفعال التي قبله ماضية على كونه ماضيا وكذلك في الوجه الثاني استدلوا بنون العظمة الموجودة في قوله: (جاءهم نصرنا) وقوله: (من نشاء) وقوله: (بأسنا) على النون في (ننجي) وهذا هو المشاكلة.

(٧٩) الموضح في وجوه القراءات: ٦٩٢ والحجة في علل القراءات السبع: ٣/ ٣١٧.
(٨٠) حجة القراءات: ٣٦٧.
(٨١) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٦٢١.
(٨٢) اللآلي الفريدة في شرح القصيدة: ٢/ ٩١٢ والحجة في علل القراءات السبع: ٣/ ٣١٨ وحجة القراءات: ٣٦٧.
(٨٣) اللآلي الفريدة في شرح القصيدة: ٢/ ٩١٣.

النتيجة:

١. إن المشاكلة قضيـــة ترتبط بذات الإنسان فإن الإنسان بطبيعته يحب أن يظهر بمظهر الجميع ولا يختلف عنهم كي يَقبلوه وبما أنه يجد فيها منافع كثيرة فيفضّل أن يتصف كلامه أيضا بهذه الصفة كي يؤدي إلى استمالة مخاطبين أكثر. وبناء على هذا فالمشاكلة يمكن أن تقع في كل جزء مما ينطق به الإنسان من مختلف الحركات والكلمات والعبارات ونتيجة لذلك فإنها تؤثر على العلوم المختلفة من اللغة والصرف والنحو والبلاغة والتفسير والتجويد والقراءة لأنها كلها تتعلق بما ينطق به الإنسان.

٢. إن العلماء اعتمدوا على المشاكلة اعتمادا كبيرا و أخذوها بعين الاعتبار في تبيين قضايا و قواعد العلوم المتعلقة باللسان من اللغة والصرف والنحو والبلاغة والتفسير والتجويد والقراءة و اعترفوا بها كقاعدة من قواعد هذه العلوم مع أننا حينما نراجع كتب هؤلاء العلماء نجدهم بين مستعمل مفردة المشاكلة ومشير إلى معناها دون أن يسميها بهذا الاسم.

٣. إن للمشاكلة تأثيرا مباشرا و دورا هاما في تعدد القراءات و توجيهها فعلماء القراءة في محاولتهم لتوجيه القراءات الواردة في آية من آي القرآن الكريم احتجوا بعبارات و آيات متقاربة المعنى كي يستدلوا بألفاظها على ألفاظ هذه الآية و بذلك يوضحوا سبب هذه القراءات والجدير بالذكر أنهم للحصول على هذه العبارات المتقاربة المعنى لم يكتفوا بالآية نفسها بل بحثوا عنها في الآيات التي تفصل بينها وبين الآية المعنية آيتان أو ثلاث آيات أو أكثر من ذلك و أحيانا بحثوا عنها في سور أخرى وهذا يدل على كثرة اهتمامهم بالمشاكلة لتعيين وجوه القراءات وتوجيهها.

٤. المشاكلة هي سبب اختلاف العلماء في ترجيح بعض القراءات وهي السبب لعدم الوصول إلى نتيجه واحدة فعالم القراءة عندما يريد أن يحكم على آية بوجه من وجوه القراءات عليه أن

يأخذ العبارات السابقة والتالية بعين الاعتبار ولكنه بينما يواجه عبارة تناسب وجها في الوقت نفسه يجد عبارة أخرى تناسب الوجه المقابل. ويمكن القول إنه أحيانا للوصول إلى الوجه الصحيح بين الوجوه المحتملة لا بد من مراعاة المشاكلة لأنه لا يوجد طريق لذلك سوى مراعاة المشاكلة ولكن مراعاة المشاكلة نفسها قد تؤدي إلى تعدد الوجوه.

المصادر:

القرآن الكريم.

- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد ابن عربشاه، تحقيق عبدالحميد الهنداوي، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، بدون تاريخ.
- الإتباع، أبو علي القالي، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر– القاهرة، بدون تاريخ.
- الإتباع الحركي وموقف النحاة من إعرابه، عبدالله بن محمد فجال، مجلة آفاق العلوم، العدد السابع، ص٤٣٧– ٤٥٠، مارس ٢٠١٧.
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات، أحمد بن البنا، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش، الطبعة الرابعة، دارالإرشاد، سوريا، ١٤١٥ ق.
- البديع في ضوء أساليب القرآن، الدكتور عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٩ هـ.
- بلاغة المشاكلة في القرآن الكريم، باسم محمد إبراهيم، مجلة الفتح، العدد الثاني والثلاثون، ٢٠٠٨م.
- التبيان فى تفسير القرآن، محمد بن حسن الطوسى، تحقيق: احمد قصير عاملى، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- ترجمة وشرح جواهر البلاغة، حسن عرفان، الطبعة العاشرة، منشورات

بلاغت، ايران –قم، ١٣٨٨.

- تطور مشكلة الفصاحة والتحليل البلاغي وموسيقى الشعر، فخرالدين قباوه، الطبعة الأولى، دار الفكر، سوريا –دمشق، بدون تاريخ.
- الجدول فى إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافى، الطبعة الرابعة، دار الرشيد، دمشق، ١٤١٨ ق.
- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، محمد الدسوقى، تحقيق عبدالحميد الهنداوى، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، لبنان –بيروت، بدون تاريخ.
- الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض والدكتور أحمد عيسى حسن المعصراوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٨ هـ.
- الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تحقيق الدكتور عبدالعال سالم مكرم، الطبعة الثالثة، دار الشروق، بيروت ١٣٩٩ هـ.
- حجة القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨ هـ.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: عبد الحميد الهنداوى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، بدون تاريخ.
- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، أبوالقاسم محمد بن محمد بن علي النويري، تحقيق الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٤هـ.
- الشفاء في علل القراءات، أبوالفضل أحمد بن محمد بن محمد الحريري البخاري، تحقيق الدكتور محمد حسن فؤاديان و أبوالفضل بهادري، لم يطبع بعد.
- علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، محمد أحمد قاسم، محى الدين ديب، الطبعة الأولى، مؤسسة الحديثة

للكتاب، ليبيا- طرابلس، بدون تاريخ.

- فتح الوصيد في شرح القصيد، أبو الحسن علي بن محمد السخاوي، تحقيق الدكتور مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد، بدون تاريخ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر أبوالقاسم الزمخشري، تحقيق شيخ عادل أحمد عبدالموجود وشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، رياض، ١٤١٨ هـ.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبومحمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور محي الدين رمضان، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- اللآلي الفريدة في شرح القصيدة، أبو عبد الله محمد بن حسن الفاسي، بدون تاريخ.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، أبوالعباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، بدون تاريخ.
- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن الكريم، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٥٠.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، الطبعة الثالثة، دار عالم الكتب، ١٤٠٣ هـ.
- المدرس الأفضل فيما يرمز ويشار إليه في المطول، محمد علي مدرس الأفغانى، الطبعة الأولى، دار الكتاب، ايران-قم، ١٣٦٢ هـ.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، بدون تاريخ.
- ـ الموضح في وجوه القراءات وعللها،

نصر بن علي بن محمد بن أبي عبد الله الشيرازي الفارسي الفسوي ابن أبي مريم، تحقيق الدكتور عمر حمدان الكبيسي، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

- مفتاح العلوم، يوسف بن أبى بكر السكاكي، تحقيق عبد الحميد الهنداوى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، بدون تاريخ.
- الميزان فى تفسير القرآن، سيد محمد حسين الطباطبائي، الطبعة الخامسة، مكتب المنشورات الإسلامية لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة، قم، ١٤١٧ ق.
- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد ابن الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، دارالفكر، بدون تاريخ.